V . من هنا نبدأ!!!

* هل صارت الاستراتيجية حلما مراوغا؟
* من هنا نبدأ: ضبط الجودة
* مرحلة إصلاح الثقافة العلمية
* نماذج من شيوخ وشباب قائمة الشرف

«رؤية شخصية غير حصرية»

oberkandl.com

obeikandl.com

V . من هنا نبدأ!!!

بعد أن حاولنا تقديم قناعة تحليلية لأهمية الثقافة العلمية، وقدمنا مقاربة أولية لتحليل واقع الثقافة العلمية فى مصر، وشرحنا رؤيتنا النقدية للأهداف الواقعية لهذه النوعية من الثقافة، وشرقنا وغربنا لنعرف كيف يفكر غيرنا، علينا أن نواجه «لحظة الحقيقة» The Moment of Truth ، ونسأل: ما العمل؟ وفى الإجابة على هذا السؤال، دعونا نستلهم عنوان خالد محمد خالد العبقرى: من هنا نبدأ!!!

هل صارت الاستراتيجية حلما مراوغا؟

لقد ذكرت مشاركتى لمدة طويلة فى لجان ولقاءات تخص الثقافة العلمية. وكثيرًا ما يجرى الحديث عن ضرورة وضع استراتيجية لها. ولابد أن القارئ يلاحظ عدم اقتصار موضوع المطالبة باستراتيجيته على الثقافة العلمية. لقد صارت كلمة «استراتيجية» من أكثر الكلمات تداولاً، وأقلها استيعابا وفهمًا. لقد صار لدينا من «الاستراتيجين المفترضين» ما يكفى لتصديره إلى كل بلدان العالم، وليست لدينا استراتيجيات

كثيرة ناجحة. وصار لكثير من الدوائر واللجان، فى مختلف المجالات، استراتيجية لصياغة الاستراتيجية، تتلخص فى كلمات ثلاث: «الجرى فى المكان»، كما ذكر الابن محمد جمال غيطاس، فى عنوان أحد كتبه عن المعلوماتية. أظن أن «حكاية الاستراتيجية» قد صارت حلما مراوغًا بشكل عام، وفى مجال الثقافة العلمية الذى يعنينا هنا بشكل خاص. وحتى لا أقع فى خطأ التعميم، أرجو مراجعة جهودنا الاستراتيجية وتقييما. فمثلاً، توجد استراتيجية وضعتها وزارة التربية والتعليم وأخرى وزارة التعليم العالى، أرجو لهما النجاح. وهنالك استراتيجيات أخرى تستحق التقييم والتقويم والمتابعة.

ويحق لنا أن نتساءل عن الواقع المراوغ لصياغة استراتيجيته للثقافة العلمية، وعن المحاولات التى جرت ولم يتم تفعيلها. إن صياغة الاستراتيجية تحتاج إلى رؤية ومنهجية وأدوات، وتنفيذها يحتاج إلى خطط وإمكانيات. وقد قامت الاليكسو العربية بتكليف أستاذنا الدكتور مصطفى طلبة ومجموعة من الخبراء لتنسيق ووضع استراتيجية عربية للثقافة العلمية. وقد شرفت بالمشاركة فى بعض الاجتماعات الخاصة

بها. وتمت صياغة الاستراتيجية بناء على التقارير القطرية. وبعد ظهورها إلى النور، أو هكذا يفترض أن يكون الأمر، قام أحد المنابر الثقافية الهامة الذى أرجو أن يعفينى القارئ من ذكر اسمه بتنظيم مؤتمر كبير عن الثقافة العلمية فى الوطن العربى. ودعانى منظمو المؤتمر مشكورين للمشاركة فيه. لكن خبر هذه الاستراتيجية العربية لم يصل إليهم، رغم أننا نعيش فى عصر الاتصالات والمعلومات. وهذا خطأ يشارك فيه الجميع، حيث لم يعلم عنها بالقدر الكافى، لقد أعطيتهم النسخة الخاصة بى عن طيب خاطر، لتكون محورًا ضروريًا للنقاش فى المؤتمر. لكنه أمر لا علمى يتعلق بأمر يتصل بالعلم على كل حال!!!

وبالنسبة لنا فى مصر، علينا أن نعمل على صياغة الاستراتيجية المنشودة، دون أن نبقى «فى انتظار جودو». لقد ذكرت أن الاستراتيجية تحتاج إلى رؤية ومنهجية وأدوات. وأضيف هنا أهمية أن ننطلق من تحليل الواقع وتحليل الفجوة، والبناء على الإيجابيات وتلافى السلبيات. واتساقا مع ما أطالب به من الانتقال من الفكر إلى الفعل، أى أن نكون

متوجهين إلى الفعل action oriented ، اقترح أن نبدأ من نقطة محددة: ضبط الجودة quality control.

من هنا نبدأ : ضبط الجودة

إن اقتراح نقطة البدء المذكورة ينطلق من الاعتراف بضعف الكم والكيف بشكل عام. لذلك فنحن فى حاجة شديدة إلى تحفيز الإنتاج فى مجال الثقافة العلمية، وصولاً إلى «الكتلة الحرجة» القادرة على تقديم الكم المناسب، مع التوجيه والتدريب والنقد لضبط جودته. إن الأدباء والفنانين يشيرون دائمًا إلى أهمية النقد فى تطوير قدراتهم الإبداعية. لذلك، فنحن نحتاج أيضًا نقادًا للثقافة العلمية، يحللون الأعمال الجيدة والرديئة، ويمكنون المتلقى من حسن الانتقاء والاختيار. وما دمنا نتحدث عن الثقافة العلمية، فلابد وأن نلجأ إلى المنهج العلمى فى نقدها وتطويرها. فهذه هى الفريضة الغائبة فى هذا المجال.

فى المجال العلمى يعرض كل إنتاج، مهما كان قدر

صاحبه، للمراجعة فيما يسمى بمراجعة القرناء Peer review. ومن حقنا أن نطالب الناشرين والمسئولين عن كافة المنابر التى تقدم الثقافة العلمية، المقروءة أو المسموعة أو المشاهدة، أن تستعين بالخبراء لمراجعة المواد المؤلفة والمترجمة. مع الحرص على عناصر الجاذبية والتيسير. ويمكن أيضًا تشجيع الإنتاج الجيد فى هذا المجال بمختلف الحوافز، من جوائز ومسابقات ونشر وإعلام، وعرض للمناقشة للتعريف بأصحابه ودعم استمرارهم فى العطاء المتميز.

وبالنسبة للمتميزين فى إنتاج الثقافة العلمية، علينا ألا نغمط حقهم فى النجومية المستحقة، ليكونوا قدوة لغيرهم ممن هم فى بداية الطريق، وكذلك قدوة للأجيال الجديدة تدفعهم إلى حب العلم والاشتغال به، بل والانشغال به. علينا أن نضعهم فى «قائمة شرف» الثقافة العلمية الجادة والمتميزة، فى مقابل ما أسميه، وأعتذر عن فظاظة اللفظ، «قائمة القرف» التى تقدم لنا الخلط والخرافة باسم العلم!!!

إن البداية المقترحة بضبط الجودة ستمهد الأرض لصياغة

استراتيجية للثقافة العلمية، قابلة لوضع الخطط الملائمة لتنفيذها، الذى لا يمكن أن يتم دون وجود «كتيبة» من العاملين فى المجال. ولا يمكننا هنا ونحن نقترب من نهاية الكراسة أن ننسى فرسان المجال، الذين يمثلون «الضوء فى نهاية النفق المظلم»، والأمل فى المستقبل الأفضل. لقد تعلم جيلى من إسماعيل مظهر وشبلى شميل وسلامة موسى والدكتور أحمد زكى والدكتور على مشرفة والدكتور حامد جوهر والدكتور عبد المحسن صالح. وتتلمذ على أيدى أحمد مستجير وسمير حنا صادق، وسعد بصداقة والعمل مع د. مصطفى فهمى ود. نبيل على وشوقى جلال ود. أحمد فؤاد باشا ود. فيصل يونس ونهاد شريف ورؤوف وصفى ود. منير الجنزورى. وعبر عن رأيه فى الثقافة العلمية من خلال إعلاميين متميزين مثل الناقد سامى خشبة والشاعر فاروق شوشة. وأعجب بالأعمال الإعلامية العلمية للشباب مثل د. خالد منتصر ومحمد جمال غيطاس. وهذه قائمة غير حصرية بالطبع. لكنها تدل على أن «مصر ولاّدة»، فلا يجب أن نصيب ثقافتها العلمية بالعقم.

مرصد إصلاح الثقافة العلمية:

وإذا ما اتفقنا على أن «ضبط الجودة» مطلوب بإلحاح لتصحيح مسار الثقافة العلمية، والتوصل إلى كوادر عالية الكفاءة لتقديمها، فمن الأفضل اقتراح خطوة إجرائية لذلك. وقد بادرت إلى تقديم اقتراح محدد بهذه الخطوة إلى مرصد الإصلاح بمكتبة الإسكندرية، من خلال محاضرة ألقيتها فى نهاية عام ٢٠٠٨، بمنتدى الحوار الذى تنظمه المكتبة. لقد أدار هذه الندوة صديقى الدكتور صلاح سليمان، الأستاذ بجامعة الإسكندرية ومقرر لجنة العلوم والتكنولوجيا بالمكتبة. وقد رجوت فى الاقتراح المذكور أن يمتد عمل المرصد ليقدم تقريرًا سنويًا عن «حالة الثقافة العلمية فى مصر»، حيث يكلف فريق عمل ملائم برصد وتحليل أنشطة الثقافة العلمية فى مختلف وسائل النشر والإعلام، ويحلل المحتوى العلمى لمناهج التعليم فى المرحلة قبل الجامعية. وتعقد ورش عمل وندوات لمناقشة هذا التقرير، تتوصل إلى اقتراحات

وتوصيات محددة تقدمها إلى الجهات المعنية من ناشرين ومؤسسات علمية وتعليمية وإعلامية.

هذا الاقتراح يمثل مشروعًا تأسيسيًا هامًا. وإذا ما تبنته لجان الثقافة العلمية المختلفة يمكن أن ينقذها من البيروقراطية والتكلس، أو اللجننة كما وصفتها من قبل. وقد تمت تجربة ذلك فى المجلس التنفيذى للثقافة العلمية، الذى يرأسه الدكتور مصطفى طلبة، والذى أشرف بعضويته. هذا المجلس التابع لأكاديمية البحث العلمى أدار أكثر من مشروع بدرجة معقولة من النجاح، ونظم ندوات فى العديد من المواقع الشبابية داخل وخارج القاهرة، واستضاف أعضاء نادى العلوم بجريدة الأهرام. وقد اخترت من بين هؤلاء الأعضاء المهندسة الشابة هبة الرحمن أحمد، لتنضم إلى أسرة مؤلفى الكراسات، التى تجمع الرواد والشباب، بفارق فى السن يتجاوز الخمسين عامًا!!!

نماذج من شيوخ وشباب قائمة الشرف

«رؤية شخصية غير حصرية»

- أحمد مستجير (رحمه الله) العالم العضوى، الذى انطفأ جزء جميل من عالمى بوفاته متأثرًا بأحداث لبنان ٢٠٠٦. ترجم خمسين كتابا علميا، وألف سلسلة رائعة تحت عنوان «فى بحور العلم»، صدرت عن دار المعارف. وله نظرية رياضية فى الشعر. أنجز مشروعًا عن زراعة الحبوب فى الأراضى المالحة بالاندماج الخلوى مع البوص، واعتبر ذلك «هندسة وراثية للفقراء» وترك الحسابات الخاصة بمشروع آخر عن استنساخ الجاموس والحصان العربى أمانة فى رقبة تلاميذه. أحب العلم والتكنولوجيا بوعى وفهم لأخلاقياتهما، ولا يمانع فى أن يكون «المحمول فى يد الجميع»، وإن كان يعطى الأولوية لهدف آخر «الرغيف فى يد الجميع». نجح بامتياز فى إقناع المجتمع بأن للعلم نجومه، مثل الغناء وكرة القدم، وطالب بأن ننقل اهتمامنا من الأقدام إلى الرؤوس. ووافقنى على أن تكون الرسالة «أن للعلم أهدافه التى لا تقل أهمية عن أهداف كرة القدم»!!! وأن التقدم فى كل شىء، حتى الرياضة، يقوم على العلم. جذب صديقنا المشترك الدكتور مصطفى فهمى ليلاحقه فى مسيرة الترجمة العلمية، ويصير من أبطالها.
- سمير حنا صادق ، أستاذ الطب المتميز، الذى جعل رسالته فى العقدين الأخيرين نشر الثقافة العلمية ومحاربة الخرافة والممارسات

اللاعلمية فى الطب والحياة. ودعا إلى إنشاء لجنة الثقافة العلمية بالمجلس الأعلى للثقافة، وتولى قيادتها لمدة طويلة بعد الدكتور ميلاد حنا. سار منحنى صحته الشخصية مع منحنى نشاط هذه اللجنة. وكان دائمًا يشجعنا بقوله أنها طرحت موضوع الثقافة العلمية على المجتمع بصورة لم تكن واردة قبلها. راجعته ذات مرة، عندما قال أن البرنامج الوراثى للشمبانزى يشبه برنامج الإنسان بنسبة ٩٥٪، وذكرت أن الشبه يصل إلى ٩٨٪. فرد قائلاً أن برنامجه يشبه الشمبانزى بالنسبة التى ذكرها، وبرنامجى بالنسبة التى ذكرتها. وبصرف النظر عن الحقيقة، أنا مستعد لموافقته، لأنه أستاذ صاحب رسالة. يعجبنى منطلقه الوطنى فى الاهتمام بالعلم فى صراعنا الحضارى مع جار لا يؤتمن. ولم يكتفى بحب فلسطين مثلنا، لكنه تزوجها فى شخص أم أولاده العزيزة. وألف العديد من الكتب ذات المذاق الخاص عن العلم.

- **صلاح جلال** (رحمه الله) ، أشرف على القسم العلمى بالأهرام، وأسس نوادى العلوم، وصارت مدرسته أبرز مدرسة للصحافة العلمية، ضمت وجدى رياض وحاتم صدقى وحسن فتحى ومحمد جمال غيطاس، وغيرهم. قابلته عام ١٩٨٥ مع الإبنة عزة الحسينى، لأقدم له تقريرًا معقدًا عن مؤتمر حضرته فى السويد عن الآثار الوراثية للتلوث. طلب منى أن أبسط بعض المصطلحات الصعبة، وأثنى على طريقتى، ثم نشر التقرير فى اليوم التالى، بعد أن

عالجه بحرفية رائعة، لم أدرك قيمتها إلا بعد أن تلقيت ردود فعل القراء عنها.

- **فاروق شوشة**، شاعر أحب العلم، وأعطى جهدًا ووقتًا للمشاركة فى أنشطة الثقافة العلمية ونقد أدبياتها. خصص حلقات عديدة من برنامجه المتميز، الذى نتمنى عودته، «أمسية ثقافية» لهذا المجال الهام، فكانت نموذجًا فريدًا للحديث فى العلم والحديث عن العلم.

- **إسماعيل سراج الدين**، مهندس ومثقف شامل عولمى المعرفة، قدم أروع نموذج للإدارة العلمية لمكتبة الإسكندرية بعد إحيائها. يرجع إليه فى دراسة مستقبل العلم على المستوى العالمى. يشجع الأنشطة العلمية فى المكتبة، ويحاضر فى مختلف المجالات بأسلوب يحبب المجتمع فى العلم وإنجازاته. يقدم بمنهج علمى متميز برنامج «صالون القاهرة»، واستضافة برنامج «العاشرة مساءً» فى حلقة فريدة عن العلم، قاوم فيها الإنبهار ودعا إلى الوعى.

- **سامح سعيد**، أستاذ الهندسة الذى اهتم بتكنولوجيا التعليم، وعمل بدعم من الدكتور حسين بهاء الدين على إنشاء وإدارة مركز كشفى للعلوم والتكنولوجيا، يقدم الثقافة الحديثة والتفاعلية فى هذا المجال الهام. نتمنى مع انتشار فروعه فى كل أرجاء الوطن أن يؤتى ثماره المرجوة

- **خالد منتصر** ، طبيب شاب يعيش فى الإسماعيلية، يؤمن بالعلم ولا يطيق الدجل والخرافة. تعلمت الإعجاب به من أحمد مستجير، الذى وضع فيه آمالاً كبيرة، عن استحقاق وجدارة. يقدم فقرة طبية/ علمية فى برنامج «العاشرة مساءً» الجماهيرى، تعد أفضل نموذج للإعلام العلمى على الساحة.
- **محمد جمال غيطاس** ، صحفى شاب بالأهرام، ورئيس تحرير مجلة «لغة العصر». من مدرسة الراحل الكبير صلاح جلال. اختار الصحافة العلمية المتخصصة، فى مجال المعلوماتية، وألف كتابا فيها. تعد المجلة التى يرأس تحريرها من أنجح المطبوعات فى مجال الثقافة العلمية المعلوماتية.

خاتمـة

إذا كان العلم بمعناه الحديث ظاهرة غير قديمة فى حياة البشر، فالثقافة العلمية ظاهرة أحدث. ولعل القارئ يدهش إذا ما علم أن مصطلح ثقافة علمية ظهر لأول مرة منذ خمسين عامًا فقط، فى مقال نشره هرد عام ١٩٥٨. وهذا يفسر أن المجتمعات المختلفة تسعى إلى التوصل إلى أفضل السبل لنشر هذه الثقافة، من خلال الوسائل العلمية والتعليمية والإعلامية المختلفة. ومصر، بثقلها الثقافى والعلمى فى الوطن العربى، عليها مسئولية تاريخية فى هذا المجال، دون أن ننكر جهود الدول العربية الأخرى. ولا يجب أن يقتصر الأمر على الاعتراف المتبادل بالجهود، بل يجب أن يمتد إلى التعاون والتنسيق والدعم. فجهود الثقافة العلمية على المستوى العربى تحتاج إلى المشاركة فى إنتاج البرامج العلمية المتميزة عالية التكلفة، وتوحيد المصطلحات العلمية، وتحفيز العاملين فى المجال، وغير ذلك كثير. وبالمناسبة، علينا مراجعة استراتيجية

الثقافة العلمية فى الوطن العربى، ودراسة أوجه الاستفادة منها عربيا وقطريا. إن كل المجتمعات العربية تحتاج إلى أن تكون أكثر علمية فى إدارة شئون حياتها، والثقافة العلمية الناضجة والملائمة هى الحل.

والله الموفق.

obeikandl.com

المؤلف فى سطور

أ.د. أحمد شوقى حسن شوقى

- أستاذ علم الوراثة بجامعة الزقازيق.
- مقرر لجنة قطاع التكنولوجيا الحيوية وعلوم الوراثة بالمجلس الأعلى للجامعات.
- المدير التنفيذى لوحدة تنسيق العلاقات الخارجية بالمجلس الأعلى للجامعات حتى نهاية العمل بمشروع الترابط بين الجامعات المصرية والأمريكية.
- الباحث الرئيسى لمشروع الرؤية المستقبلية للعلوم والتكنولوجيا واختيار الأولويات فى مصر ٢٠٢٠ بأكاديمية البحث العلمى.
- عضو لجنة أخلاقيات البيولوجيا باللجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم.
- عضو المجلس التنفيذى للثقافة العلمية بأكاديمية البحث العلمى.

obeikandl.com

- نائب مقرر لجنة الثقافة العلمية بالمجلس الأعلى للثقافة حتى عام ٢٠٠٧.
- رئيس تحرير كراسات العلم والمستقبل.
- ألف ١٥ كتابًا نشرت منها ٤ فى مكتبة الأسرة.
- مقدم برنامج الثقافة العلمية فى القناة الثانية بالتليفزيون المصرى فى الفترة من ١٩٩٠ حتى ١٩٩٢.
- عضو العديد من اللجان والجمعيات المصرية والعربية والدولية من بينها عضوية لجنة العلوم والتكنولوجيا بمكتبة الإسكندرية فى فترة سابقة وحاليًا اللجنة الاستشارية لموسوعة أعلام مصر فى القرنين التاسع عشر والعشرين.
- كما هو عضو أيضًا فى جمعية الوراثة المصرية – جمعية الوراثة الأمريكية – أكاديمية نيويورك للعلوم إلخ من العديد من الجمعيات.

obeikandl.com